

العنبر العلو بن الملقا بن سينا

سلسلة في رحاب نهج البلاغة - ١٠

سيرة الرسول الأعظم ﷺ

في نهج البلاغة

السيد هاشم الميلاني

سيرة الرسول الأعظم ﷺ في نهج البلاغة

- الناشر: العتبة العلوية المقدسة
 - المؤلف: السيد هاشم الميلاني
 - إخراج فني: نصير شكر
 - عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة
 - السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
-

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني :

info@haydarya.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

في النبوة

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١).

إن النبوة سلسلة هداية ربانية، وشعلة نورانية أنارت درب البشرية، منذ أن سكن الإنسان هذه المعمورة، وستستمر إلى نهاية المطاف على يد أمناء وأوصياء خاتم النبوة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ حُجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ قَلَّةٌ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاؤُ» (٢).

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

سبب الحاجة إلى الأنبياء:

لقديماً ما سمعنا شبهة منكري النبوة من أنّ النبي إما يأتي بما يوافق العقل فلا فائدة فيه ولا حاجة إليه، وإما يأتي بما يخالف العقل فيجب ردّه، وعليه لا حاجة للأنبياء.

وفي الجواب نقول:

١- أنّ العقل لا يتمكن أن يحيط علماً بجميع الأمور، إذ له نطاق عمل محدود، بالإضافة إلى أنّ ضوء العقل قد يخبو بسبب اقتراف الذنوب وسيطرة الأهواء، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَى أَمِيرٍ»^(١).

وفي كتابه عليه السلام إلى شريح القاضي لما اشترى داراً بثمانين ديناراً، وعظه الإمام بموعظة بليغة جاء في آخرها: «شَهَدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلِ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عِلَائِقِ الدُّنْيَا»^(٢).

إذاً العقل لوحده - ومن دون استعانة بالوحي - لا يتمكن من سلوك طريق الهداية للمخاطر التي تحيط به، حتى لو سلّمنا أنّ بعض ما جاء به الوحي وصل إليه العقل وأدركه قبله، فحيثئذ يكون دليل الوحي مؤكداً لدليل العقل وهذا لا ضير فيه.

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٠١.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٣.

٢- انّ الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، وهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ
النَّارِ﴾^(١)، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)،
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ
يُرْسَلْكُمْ هَمَلًا»^(٣).

فعدم العبثية في الخلق، ولزوم المعرفة والعبادة، تقتضي وصول
أوامر الخالق ونواهيهِ إلى الناس، وهذا لا يتحقق إلا عبر الأنبياء
والرسل، بعد عجز الإنسان عن الاتصال المباشر بالخالق، وكذلك
بالمخلوقات الغيبية كالملائكة.

٣- إتمام الحجة وتعليم العباد، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:
«وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى
تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا
حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ،
وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ،
لِيَسْتَأْذِنُوا مِنْهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنِيَّةَ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ
بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرْوَهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ

(١) ص: ٢٧.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٥.

سَقَفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ يُحَيِّيهِمْ، وَأَجَالَ
تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابِعُ عَلَيْهِمْ»^(١).

وقال عليّ عليه السلام أيضاً: «وَلِيُفَيِّمَ الْحُجَّةَ بِهِ [أي آدم عليه السلام] عَلَى عِبَادِهِ،
وَلَمْ يُجْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ
وَيَبْنِي مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ،
وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْنَا فَقَرْنَا»^(٢).

وقال عليّ عليه السلام: «بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ
حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْأَعْدَارِ إِلَيْهِمْ،
فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ»^(٣).

صعوبة الامتحان:

إن الله سبحانه وتعالى بعث أنبياءه، وطلب من عباده الإيمان بهم
والأخذ بقولهم، مع ما خصّ الأنبياء بصفات روحانية عظيمة.
وقد امتاز الأنبياء أيضاً بالفقر وقلة ذات اليد عموماً، وفيه
حكمة ربانية دقيقة، وهي أن يكون الإيمان بالله خالصاً لوجهه الكريم
لا يشوبه طمع أو خوف دنيوي كما هو الحال في الاستسلام للملوك

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٩٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٤.

والسلاطين.

وبهذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما يذكر استهزاء فرعون بموسى وهارون لما دخلا عليه بمدارع الصوف، فاستحقرهما وقال: هلا ألقى عليهما اساورة من ذهب، وهنا يقول الإمام عليه السلام:

«وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَأَنْبِيَاءَهُ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ، وَمَعَادِنِ الْعِيقِيَانِ، وَمَعَارِسِ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُتَبَتِّلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنَى، وَخِصَاصَةً تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى. وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرَّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرَّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْاِغْتِيَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْاِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَنُوتُوا عَنْ رَهْمَةِ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النَّبَاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالْاِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالْاِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلَاؤُ وَالْاِخْتِيَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ

أَجْزَلُ»^(١).

وفي خطبة أخرى يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى زهد بعض الأنبياء وفقرهم ويقول: «وَإِنْ شِئْتَ تَنَيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ: «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزًا يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ هُزَالِهِ وَتَشَدُّبِ حَمِيمِهِ. وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِيَّ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِحُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا، وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ تَمْنِهَا. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْحَشْنَ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَسَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تَنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ رَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَكْدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يَذُلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجَالُهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ»^(٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٠.

- ١ - المولد النبوي

هو أبو القاسم محمد ﷺ، بن عبدالله، بن عبدالمطلب شيبية الحمد، بن هاشم، بن عبدمناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن نضر، بن كنانة، بن خزيمية، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان من نسل إسماعيل النبي ﷺ.

وقد وُلد ﷺ في (١٧) ربيع الأول - على المشهور عند الشيعة - عند طلوع الفجر من يوم الجمعة في العام الذي جاؤوا بالفيل لتخريب الكعبة المعظمة، وكانت ولادته في داره المباركة بمكة، وهذه الدار هي التي وهبها النبي ﷺ فيها بعد لعقيل بن أبي طالب، فباعها أولاده لمحمد بن يوسف أخ الحجاج فأدخلها في داره، فلما كانت خلافة هارون أخذتها الخيزران أمه فأخرجتها من بيت محمد بن يوسف وجعلتها مسجداً يصلي فيه الناس، وفي سنة (٦٥٩هـ) سعى الملك

المظفر - والي اليمن - في عمارته، وبقيت هذه الدار إلى زماننا هذا بجانب بيت الله تعالى، وسلمت من التهديم الوهابي بعد جعلها مكتبة عامة. وحصلت عند ولادته ﷺ حوادث مهمّة، من قبيل سقوط جميع الأصنام على وجوهها، ارتعاش إيوان كسرى، وسقوط أربعة عشر شرفة منه، وقد غاضت أيضاً بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نيران فارس ولم تحمد قبل ذلك بألف عام، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك محزوناً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة^(١).

أما بالنسبة إلى آباء النبي ﷺ فقد أجمعت الشيعة على إيمانهم جميعاً، قال الشيخ المفيد رحمه الله: «آباء النبي ﷺ إلى آدم كانوا موحدين على الإيمان بالله وعليه إجماع عصابة الحق، قال الله تعالى: «الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ»^(٢) يريد به تنقله في أصلاب الموحدين. وقال نبيه ﷺ: «ما زلت أتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني الله تعالى في عالمكم هذا» فدل على أن آباءه كلهم كانوا مؤمنين، إذ لو كان فيهم كافر لما استحق الوصف بالطهارة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٣) فحكم

(١) راجع الأمل للصدوق: ٢٣٥، البحار: ١٥: ٢٥٧.

(٢) الشعراء: ٢١٨، ٢١٩.

(٣) التوبة: ٢٨.

على الكفار بالنجاسة، فلما قضى رسول الله ﷺ بطهارة آبائه كلهم ووصفهم بذلك، دلّ على أنهم كانوا مؤمنين»^(١).

وبهذا الصدد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخْتَهُمْ^(٢) كَرَائِمِ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلْفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتًا، وَأَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءُهُ»^(٣).

وقال عليه السلام: «مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ وَمَاهِدِ السَّلَامَةِ»^(٤).

وقال عليه السلام: «كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَرَقْتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ»^(٥).

(١) تصحيح الاعتقاد للمفيد: ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) تناسختهم: تناقلتهم، كنسخت الكتاب واستنسخته: نقلت ما فيه.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٥.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٤.

- ٢ -

البعثة النبوية

ألف - حال الناس قبل البعثة:

تسمّى الفترة التي مرّت قبل المبعث النبوي ﷺ بالفترة الجاهلية، وذلك لانعدام الفضيلة والجهل المعرفي السائد آنذاك على المجتمع العربي، بل في العالم كله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مَلَلٌ مُتَفَرِّقٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ»^(١).

ولو تتبعنا نهج البلاغة لرأينا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يصف حال الناس قبل المبعث النبوي ﷺ بالصفات والسمات التالية:

١- الفترة: والمراد منها فترة انقطاع النبوة فيما بين عيسى عليه السلام ورسول الله ﷺ حيث طالت لعدة قرون وفيها يقول أمير المؤمنين عليه السلام

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

«أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعِ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَفَقِيَ بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ»^(١) وقال عليّ: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأَمَمِ، وَانْتِقَاضِ مِنَ الْمُبْرَمِ»^(٢) وقال عليّ: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأَمَمِ»^(٣).

٢- اندراس الدين: قال أمير المؤمنين عليّ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ ... وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ»^(٤) وقال عليّ أيضاً: «أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ»^(٥) وقال عليّ: «وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ أَنْجَدَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، ... خُذِلَ الْإِيمَانُ فَأَنْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ»^(٦).

٣- المعصية: قال أمير المؤمنين عليّ: «عُصِيَ الرَّحْمَنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ»^(٧)، وقال عليّ: «وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ»^(٨) وهذه المعاصي الكثيرة التي أصبحت معصوبة بهم أدّت إلى عمى قلوبهم لذا

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٥.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٨) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

قال عليه السلام: «واستغلقت على أفئدتهم أفعال الرّين»^(١).

٤- الفتن والفوضى: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والنّاس في فتنٍ
انجذم فيها حبْلُ الدّين، وتزعزعت سوارِي اليقين، واختلف النّجر،
وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدّر،... في فتنٍ داستهم
بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سناكبها، فهم فيها تائهون
حائرُونَ جاهلون مفتونون، في خيرٍ دارٍ، وشرِّ جيرانٍ، نومهم سُهوْدٌ،
وكحلهم دُموعٌ»^(٢).

وقال عليه السلام: «بعته والنّاس... حاطبون في فتنه، قد استهوئهم
الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفّتهم الجاهليّة الجاهلاء،
حيارَى في زلزالٍ من الأمرِ وبلاءٍ من الجهلِ»^(٣).

وقال عليه السلام: «ثم إن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق حين
دنا من الدنيا الانقطاع، وأقبل من الآخرة الاطلاع، وأظلمت بهجتها
بعد إشراق، وقامت بأهلها على ساق، وحسن منها مهادٌ، وأزف منها
قيادٌ، في انقطاع من مدتها، واقتراب من أشراطها، وتصرم من أهلها،
وأنفصام من حلقها، وانتشار من سببها، وعفاء من أعلامها، وتكشّف
من عوراتها، وقصر من طولها»^(٤).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

٥- عبادة الأوثان: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الأصنام فيكم منصوبة»^(١) وقال عليه السلام: «فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته»^(٢).

٦- اتباع الشيطان: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عصي الرحمن، ونصر الشيطان، ... أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواءه»^(٣)، وقال عليه السلام: «فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده... من طاعة الشيطان إلى طاعته»^(٤).

٧- الضلال وترك الهدى: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فألهدى خامل، والعمى شامل»^(٥) وقال عليه السلام: «بعثه والناس ضلال في حيرة»^(٦) وقال عليه السلام: «أرسله وأعلام الهدى دارسة، ومناهج الدين طامسة»^(٧) وقال عليه السلام: «بعثه حين لا علم قائم، ولا منار ساطع، ولا منهج واضح»^(٨) وقال عليه السلام: «ابتعثه والناس يضرئون في غمرة،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٤.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٥.

(٨) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٦.

وَيُمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ»^(١).

٨- تفشي الجهل: قال عليه السلام: «بَارِضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ»^(٢).

وقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً»^(٣)، ونحوه أيضاً: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا»^(٤)، وقال عليه السلام: «بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ... اسْتَحَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ»^(٥).

وقال عليه السلام: «أَصَابَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْعَالِيَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْعَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَدْلُونَ الْحَكِيمَ، يَحْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ، وَيُمُوتُونَ عَلَى كُفْرَةٍ»^(٦)، وقال وهو يحث على التآلف: «وَلَا تَكُونُوا كَجَفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لَا فِي الدِّينِ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٣.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٤.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥١.

يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ»^(١).

٩- البيئة الخسنة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيحُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ حُشِنَ وَحَيَاتٍ صُمِّمَتْ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ»^(٢).

١٠- العداة والحقد: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ»^(٣) وقال عليه السلام: «فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلْفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاعِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ»^(٤) وقال عليه السلام: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازَعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ»^(٥).

ب - البعثة:

كانت العناية الربانية محيطة بالنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ صباه، فقد «قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَكْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣٠.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٣.

المكّارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ومهارة»^(١).

ويشرح لنا أمير المؤمنين عليه السلام مشاهدته لبدء نزول الوحي وابتداء البعثة ويقول: «ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست ببني ولكنك لوزير، وإنك لعلّ خير»^(٢).

ثم يشرح عليه السلام الأسباب التي دعت إلى البعثة ويقول: «إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسولاً صلى الله عليه وآله لإنجاز عده وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سائته، كريماً ميلاده»^(٣).

وقال عليه السلام: «أشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحة للشبهات، واحتجاجاً

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

بِالسِّيَّاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ»^(١).

وقال عليّ بن أبي طالب: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ»^(٢)، وقال عليّ بن أبي طالب: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُنْدِهِ، وَتَقْدِيمِ نُدْرِهِ»^(٣).

وقال عليّ بن أبي طالب: «وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَرْمَانًا، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّةً مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِمْ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ»^(٤).

وقال عليّ بن أبي طالب: «وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا»^(٥).

وقال عليّ بن أبي طالب: «أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ»^(٦).

وقال عليّ بن أبي طالب: «فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقَرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ

-
- (١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.
 - (٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.
 - (٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٢.
 - (٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٥.
 - (٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٩.
 - (٦) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٥.

وَلْيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ»^(١).

وقال عليّ: «ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ،
وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالكِتَابِ الْهَادِي»^(٢).

وقال عليّ: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ
الرَّضِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَاحِ، وَإِضَاحِ
الْمَنْهَجِ»^(٣).

وقال عليّ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا
لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيِّمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ»^(٤).

ج - تبليغ الرسالة:

لقد صدع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بما أرسل إليه وأمر به، وتحمل الكثير
في تبليغ الرسالة السماوية الملقاة على عاتقه، وهذا ما ذكره أمير المؤمنين
عليّ: «فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ،
فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ»^(٥).

وقال عليّ: «اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوتِ... اجْعَلْ شَرَائِفَ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥.

(٤) نهج البلاغة، الكتاب: ٦٢.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٣.

صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ... كَمَا حُمِّلَ
فَاضْطَلَعَ، قَائِمًا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِيلٍ عَنْ قُدَمِ، وَلَا
وَإِهٍ فِي عَزْمِ، وَاعِيًا لَوَحْيِكَ، حَافِظًا لِعَهْدِكَ، مَا ضِيًّا عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى
أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْحَابِطِ، وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبُ
بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ، وَنِيَّاتِ
الْأَحْكَامِ»^(١).

وقال عليّ: «فَبَالَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا
إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ»^(٢).

وقال عليّ: «أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا،
وَمَضَى رَشِيدًا»^(٣).

وقال عليّ: «فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ، يَسُوفُهُمْ إِلَى
مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ، وَيَقِفُ
الْكَاسِرُ، فَيُتَّقِي عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ، إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى
أَرَاهُمْ مَنْجَاتِهِمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رِحَاهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ
فَنَائِمُهُمْ»^(٤).

وقال عليّ: «بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٩.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٣.

الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا، وَخَوْفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا»^(١).

وقال عليّ: «فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَاِنٍ وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهِدَ فِي
اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَدِّرٍ، إِمَامٌ مِّنَ اتَّقَى، وَبَصَرٌ مِّنَ اهْتَدَى»^(٢).

وقال عليّ: «فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ»^(٣).

وقال عليّ: «وَقَبِضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ
الْهُدَى بِهِ»^(٤).

وقال عليّ: «فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًا
عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ
مَتِينَةً، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٣.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥.

الهجرة النبوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ»^(١).

يشير أمير المؤمنين عليه السلام في هذا النص الشريف إلى أن ولادة النبي صلى الله عليه وآله كانت بمكة - وقد مضى -.

ثم يشير عليه السلام إلى مسألة الهجرة النبوية، حيث هاجر صلى الله عليه وآله إلى المدينة وأسس الدولة الإسلامية، ومنها انتشر الإسلام وامتد إلى جميع أنحاء العالم.

أما الأحداث التي سبقت الهجرة، فكثيرة لم ترد الإشارة إليها في نهج البلاغة إلا إلى حادثة الحصار في الشعب، حيث قال عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية: «فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَدْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦١.

وَأَضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرِيٍّ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى
الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ، مُؤْمِنًا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ،
وَكَاْفِرُنَا يُجَامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَوْا بِمَا نَحْنُ فِيهِ
بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمِنٍ»^(١).

وذلك بعد ما يأست قريش من إخضاع النبي ﷺ لها،
واستمر هو بالدعوة، صمّموا على قتله، فلما بلغ ذلك أبو طالب جمع
بني هاشم وبني عبدالمطلب ودخلوا الشعب، واجتمع جميع أولاد
عبدالمطلب، سواء كانوا مسلمين أو كفاراً على نصرة النبي ﷺ
وتخلف عنهم أبو لهب. والمراد بالمؤمن في كلامه ﷺ: سيد قريش
أبو طالب وحمزة وهو ﷺ وغيرهم ممن أسلم، والمراد بالكافر عمه
العباس، وعقيل وطالب ونوفل بن الحارث، والحارث بن نوفل بن
الحارث وغيرهم ممن التحق بالشعب نصرة للقوم والعشيرة ولم يكن
آمن بعد.

ويصف أميرالمؤمنين ﷺ مدى الشدة التي لاقوها خلال فترة
البقاء في الشعب، وهي كانت حقاً فترة عصبية، وكان أهل مكة
لا يتمكنون من بيع شيء لهم لأن قريشاً حذرت من ذلك وعاقبت من
باع إليهم شيئاً.

وطال حصار الشعب ثلاث سنوات عجاف إلى أن سلط الله

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٩.

تعالى الأرضة على الصحيفة التي كتبها للتشديد على بني هاشم وعلقوها في البيت، فأكلتها سوى البسملة، فلما أخبرهم أبو طالب بذلك فكّوا الحصار، ولكن بقوا على إيذاء المسلمين سيما بعد وفاة أبي طالب ناصر النبي ﷺ وأم المؤمنين خديجة سلام الله عليهما، ممّا اضطر النبي ﷺ من الذهاب إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، ولكن لم يستجب له أحد وطرده من هناك، وبقي ﷺ هكذا إلى أن اجتمع أربعون شخصاً من قبائل العرب وصمّموا على قتل النبي ﷺ، فأخبر الله تعالى نبيه بذلك، وأمره أن يخرج من مكة ويبيت علياً مكانه، ففعل ونجا من مكر المشركين، وفداه عليّ بن أبي طالب بنفسه وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١) ووصل النبي ﷺ إلى المدينة حيث كان مبتدأ السنة الهجرية وتأسس الدولة الإسلامية.

(١) البقرة: ٢٠٧.

- ٤ - السنة النبوية

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(١)، وذلك لأن السنة النبوية هي الطريق إلى معرفة الأحكام الشرعية، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تَبْيَانًا، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَانًا حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيهَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَمَّيَ إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنْ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِه، وَنَوَاهِيه وَأَوَامِرُهُ»^(٢).

وقد أمرنا الله تعالى أيضاً بالرد إليه وإلى الرسول، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام في محاججته مع الخوارج: « قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ وَرُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ»^(٣).

(١) الحشر: ٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٥.

وكذلك كتب عليه السلام في عهده لملك الأشر: «واردُ إلى الله
ورسوله ما يضلُّك من الخطوب، ويشته عليك من الأمور، فقد
قال الله تعالى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ» فالرُّدُّ إلى الله الأخذ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، والرُّدُّ إلى الرَّسُولِ الأخذُ
بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَفْرَقَةِ» (١).

وقال عليه السلام أيضاً: «وَأَنعمِ الْفِكْرَ فِيما جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ
الْأَمِيِّ صلَّى الله عليه وآله مِمَّا لا بُدَّ مِنْهُ ولا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى
غَيْرِهِ، وَدَعَهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ» (٢).

وأخيراً كرّر عليه السلام ضرورة الأخذ بالسنة في وصيته قبيل
استشهاده حيث قال: «أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَمُحَمَّدًا صلَّى الله عليه وآله
فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هَدْيِي الْعَمُودِيْنَ، وَأَوْفُوا هَدْيِي
الْمِضْبَاحِيْنَ» (٣).

وجاء هذا الاهتمام وهذا التأكيد لأجل انحصار الطريق في
السنة كما قلنا وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام:
«واعلِّمْ يا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ١٥٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٩، وكذلك الكتاب: ٢٣.

الرَّسُولُ ﷺ، فَارْضَ بِهِ رَإِدًا، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا»^(١) وذلك أيضاً لأنَّ «سُنَّتَهُ ﷺ الرُّشْدُ»^(٢).

ثم بموازات الحثِّ على الاهتمام بالسنة، يحذّر أمير المؤمنين عليه السلام من تعطيل السنة والاتجاه نحو البدع، فإنَّ في ذلك هلاك الأمة، وهذا الأمر يتوجّه إلى الحكام في البداية لأنَّ بيدهم زمام الأمور، ومنهم يُخاف ويُرهب، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالِدَّمَاءِ وَالْمَعَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ... الْمُعْطَلُ لِلْسُنَّةِ فَيُهْلِكُ الْأُمَّةَ»^(٣).

وفي نص آخر يشير عليه السلام إلى أهمية دور الحكام في الحفاظ على السنة النبوية، ويجعل المقيم للسنة من أفضل عباد الله، والمميت لها من شرِّ الناس ويقول: «فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدْيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بَدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيْرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَاخُودَةً وَأَحْيَا بَدْعَةً مَثْرُوكَةً»^(٤).

وقال عليه السلام: «وَمَا أُحْدِثْتُ بَدْعَةً إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا الْبِدَعَ

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣١.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٤.

وَالزَّمُوا الْمَهْيَجَ»^(١)، وعندها تكون الفوضى وظهور الفتن كما أشار عليه السلام: «وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ»^(٢) ويستمر الأمر هكذا إلى ظهور صاحب العصر والزمان عليه السلام حيث «يُجِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»^(٣).

وهناك أمر آخر حذر منه أمير المؤمنين عليه السلام ألا وهو السنة المكذوبة أو الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في زمانه وبعد زمانه، أما بالنسبة إلى الأول فقد قال عليه السلام: «وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيئاً فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٤).

وأما بالنسبة إلى الثاني قال عليه السلام: «وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٥).

والنجاة من هذه الفوضى في الرجوع إلى العترة الطاهرة، إذ أتهم أمناء الله على وحيه ، وهم مستودع السنة النبوية ، ففي عهد أمير المؤمنين عليه السلام لملك الأشتر يقول : « وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٨.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٠.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧.

لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عَمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرَّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْحَزِيَّةِ وَالْخِرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مُحْفُوظًا» (١).

فهنا أشار ﷺ إلى جميع أصناف المجتمع وما عليهم ولهم، وذكر أنّ الله تعالى بيّن أحكام الجميع في الكتاب والسنة وهما محفوظان عنده ﷺ، وهذا ما أكّده الإمام الصادق ﷺ بقوله: «انّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً إملاء رسول الله ﷺ وخط عليّ ﷺ بيده، ما من حلال ولا حرام إلّا وهو فيها حتى أرش الخدش» (٢).

وقال أمير المؤمنين ﷺ أيضاً: «فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّمَّ بِهِ وَاسْتَضَى بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرُضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكُلُّ عِلْمِهِ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُتْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ» (٣).

وهذا أي الرجوع إلى العترة لمعرفة السنة هو الوجه الصحيح في

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.

(٢) البحار ٢٦: ٢٢، ح ١٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٠.

الجمع بين حديث كتاب الله وعترتي المتواتر، وحديث كتاب الله وسنتي - لو سُلم صحته - .

وهذا ما ذهب إليه ابن حجر في الصواعق المحرقة أيضاً حيث قال: «والحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسك بالكتاب وبالسنّة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة»^(١).

ثم إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يذكر في حديث جميل حال الناس في تعاملهم مع الحديث النبوي ويقول: «إِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةٌ رِجَالٌ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ، لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَوَهَمَ فِيهِ

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ٢: ٤٣٩، الآية الرابعة في فضائل أهل البيت عليهم السلام.

وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ، بِهِ وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوحَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوحٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوحٌ لَرَفَضُوهُ.

وَأَخْرَجَ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَهْمُ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوحَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِهِ وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيَجِبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ ﷺ حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِمِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ إِلَّا سَأَلْتَهُ عَنْهُ وَحَفِظْتَهُ، فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَعَلَلِهِمْ

في رواياتهم»^(١).

ومما يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام الاهتمام بدراية الحديث ومعرفة فقهه، فقد قال عليه السلام: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير ورعائه قليل»^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلا صدور أمين وأخلام رزينة»^(٣) مما يعطي تصور عن أهمية الدراية وفهم مراد المعصوم.

وقال عليه السلام في وصف العترة الطاهرة: «عقلوا الدين عقل رعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير، ورعائه قليل»^(٤).

وكشاهد على ذلك فقد سئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود» فقال عليه السلام: «إنا قال صلى الله عليه وآله ذلك والدين قُل، فأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بحرانه، فأمرؤ وما اختار»^(٥)، مما يدل على لزوم فهم النص مع لحظ ملابساته الزمانية والمكانية.

والخلاصة أن سنة النبي صلى الله عليه وآله المتمثلة في قوله وفعله وتقريره،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٠.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٩.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣٧.

(٥) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٣.

يجب الاهتمام بها والأخذ بها، وعليه يتم التمسك بالنبى ﷺ وتصدق
الولاية إذ «إِنَّ وَدَّيَ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لِحَمَّتُهُ، وَإِنَّ عَدُوَّ
مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرَّبَتْ قَرَابَتُهُ»^(١).

وأخيراً قال عائشة: «فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ، ﷺ فَإِنَّ فِيهِ
أُسْوَةٌ لِمَنْ تَأَسَّى وَعِزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ،
وَالْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ... فَتَأَسَّى مُتَأَسِّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلَجَهُ،
وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَمًا لِلْسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا
بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ»^(٢).

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٠.

الأوصاف النبوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحة للشبهات، واحتجاجاً بالبيّنات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات»^(١).

وقال عليه السلام وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وآله ويشرح صفاته: «اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلمين الحق بالحق، والدافع جيشات الأباطيل، والدافع صولات الأضاليل، كما حمل فاضطلع، قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكل عن قدم، ولا واه في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتى أورى قبس القابس، وأضاء الطريق للحابط، وهديت به القلوب

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ، وَالْآثَامِ وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ، وَنَيَّرَاتِ
الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ
يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ»^(١).

وقال عليّ: «قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْعَدَةُ الْأَبْرَارِ، وَنُبِيتَ إِلَيْهِ أَرْزَمَةُ الْأَبْصَارِ،
دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّعَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا،
أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ»^(٢).

وقال عليّ: «خَيْرَ السَّرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، وَأَطْهَرَ
الْمُطَهَّرِينَ شِيَمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيَمَةً»^(٣).

وقال عليّ: «أَمِينٌ وَحِيهِ وَخَاتَمٌ رُسُلِهِ وَبَشِيرٌ رَحْمَتِهِ وَنَذِيرٌ
نِقْمَتِهِ»^(٤).

وقال عليّ: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُجْتَبَى مِنْ
خَلْقِهِ، وَالْمُعْتَمَدُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ،
وَالْمُضْطَفَى لِكِرَائِمِ رِسَالَتِهِ، وَالْمُوضَّحُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى،
وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرْبِيبُ الْعَمَى»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٨.

وقال عليه السلام: «نشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاض إلى رضوان الله كل غمرة، وتجرع فيه كل غصة، وقد تكون له الأذنون، وتآلب عليه الأفضون، وخلعت إليه العرب أعتتها، وضربت إلى محاربتة بطون رواجلها، حتى أنزلت بساحته عداوتها، من أبعده الدار وأسحق المرار»^(١).

وقال عليه السلام: «وأشهد أن محمداً نقيب الله، وسفير وحيه ورسول رحمته»^(٢).

وقال عليه السلام: «جعل الله بلاغاً لرسالته، وكرامة لأمتيه، وربيعاً لأهل زمانه، ورفعة لأعوانه، وشرفاً لأنصاره»^(٣).

وقال عليه السلام: «أرسله بالضياء، وقدمه في الاضطفاء، فرتق به المفاتق، وساور به المغالب، وذل به الصعوبة، وسهل به الحزونة، حتى سرح الضلال عن يمين وشمال»^(٤).

وقال عليه السلام: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وسيّد عباده، كلّمنا نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر، ولا ضرب»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٣.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٤.

ومن أوصافه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً أنه كان أماناً من العذاب، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فِدُونَكُمْ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالاسْتِغْفَارُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١).

ومنها الشجاعة، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ» (٢).

ومنها الزهد، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَّاهَا عَنْهُ اخْتِياراً وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ اخْتِياراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، أَوْ يَرْجُو فِيهَا مَقَاماً» (٣).

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصِرُ لِأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، وَلَمْ يُعْرِزْهَا طَرْفاً، أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْضَمَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ،

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨٣.

(٢) غريب الكلام الذي يحتاج إلى التفسير: ٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٨.

وَصَغَرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،
وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ وَمُحَادَّةً عَنِ أَمْرِ اللَّهِ.

وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ،
وَيُخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِجَارَ الْعَارِيَّ،
وَيُرْدِفُ حَلْفَهُ، وَيَكُونُ السُّرُّ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ،
فَيَقُولُ: يَا فُلَانَةُ - لِأَحَدَى أَرْوَاجِهِ - عَيَّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ
ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ
نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، وَلَا
يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مُقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا
عَنِ الْقَلْبِ، وَعَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ
يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا
وَعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وَزَوَيْتَ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ
زُلْفَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ، فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ
فَقَدْ كَذَبَ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ.

فَتَأْسَى مُتَأَسِّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلَجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ
الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمًا لِلْسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ،
وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ

حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنْةَ
اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلْفًا نَتَّبِعُهُ، وَقَائِدًا نَطُؤُ عَقْبَهُ، وَاللَّهُ لَقَدْ
رَقَعْتُ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَافِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا
تَنْبِذُهَا عَنْكَ، فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرِيَّ»^(١).

ومنها أفضليته ﷺ على الخلق أجمع، قال عليّ عليه السلام: «أشهد أن
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ»^(٢).

ومنها لزوم تكريم كل ما ينسب إليه، وكشاهد على ذلك تقديم
علي عليه السلام أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام للقيام بوصاياه إكراماً لمقام النبي
ﷺ، فقد قال عليّ عليه السلام: «وإني إنما جعلتُ القيامَ بِذَلِكَ إلى ابني فاطمة
ابنِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَكْرِيباً لِحُرْمَتِهِ وَتَشْرِيفاً
لِوَصْلَتِهِ»^(٣).

ومنها استجابة الدعاء ببركة الصلاة والسلام عليه، قال عليّ عليه السلام:
«إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ، فَأَبْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ
ﷺ ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِي
إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى»^(٤).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٤.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٤.

(٤) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٥١.

ومنها مظلوميته ﷺ وشدة ابتلائه، قال عليّ: «فَأَرَادَ قَوْمَنَا قَتَلَ
نَبِيَّنا، واجْتِيَا حَاضِلِنَا، وَهَمُّوا بِنا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا
الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ»^(١)، واضطُّرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ، وَأَوْقَدُوا
لَنَا نَارَ الْحَرْبِ»^(٢).

وقال عليّ: «فَدَعَّ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجَوَّاهُ
فِي الشَّقَاقِ، وَجَمَّاحَهُمْ فِي التَّيِّهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ كَاجْمَاعِهِمْ
عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٣).

(١) أي جعلوا الخوف ملازماً لنا كحلس البعير يلازم ظهره، وهو كساء يجعل تحت
الرحل.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٩.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ٣٦.

- ٦ - المعجز النبوية

تُعدّ المعجزة الدليل الواضح لقمع شبهات المعاندين، وتثبيت قلوب الموالين لإثبات صدق مدعي النبوة وتمييزه عن غيره، وكل نبي جاء بمعجزة أو معاجز مختلفة بما يناسب ظرف زمانه، وكذلك نبينا ﷺ، فقد صدرت عنه معاجز كثيرة ربما تفوق معجزات جميع الأنبياء، وقد عدّها ابن شهر آشوب أربعة آلاف وأربعمائة وأربعين معجزة، ذُكرت منها ثلاثة آلاف^(١).

ويمكن تقسيم هذه المعاجز في عدّة أنواع:

النوع الأول: ما صدر في الأجرام السماوية كشق القمر، وردّ الشمس، وتضليل الغمام، ونزول المطر والأطعمة والفواكه من السماء عليه وغيرها.

النوع الثاني: معجزاته في الجمادات والنباتات كسلام الشجر

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٤٤.

والمدر عليه، وتسبيح الحجر بيده، وانقلاب الجذع سيفاً لعكاشة في بدر، ولعبد الله بن جحشي في أحد وغيرها.

النوع الثالث: معجزاته في الحيوانات، كتكلم عجل آل ذريع وحث الناس على نبوته، وتكلم الذئب والإبل والشاة المسمومة وغيرها.

النوع الرابع: معجزاته في إحياء الموتى وشفاء المرضى، ومعجزات أعضائه الشريفة كذهاب وجع عين علي عليه السلام ببركة بصاقه الشريف، وإحياء الطيبي الذي أكل من لحمه، وتكلم فاطمة بنت أسد سلام الله عليها معه في القبر، وغيرها.

النوع الخامس: معجزاته في كفاية شر الأعداء، كهلاك المستهزئين، وأكل الأسد عتبة بن أبي لهب، وغيرها.

النوع السادس: معجزاته في استيلائه على الجن والشياطين، وإيمان بعض الجن به.

النوع السابع: معجزاته في إخباره بالمغيّبات، وهي كثيرة^(١). وقد وردت الإشارة إلى معجزة واحدة في نهج البلاغة، وهي مجيء الشجرة إليه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا آتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ

(١) راجع منتهى الآمال للشيخ عباس القمي، ج ١، فصل معاجز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْنِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَا عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيُّ رَسُولٍ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، فَقَالَ ﷺ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأْرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَيَّ خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ وَمَنْ يُجَزَّبُ الْأَخْرَابَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرْفُوفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُضْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِغَضِ أَعْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ﷺ.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا، وَيَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمْرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوًّا، فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ ﷺ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ بَانَ الشَّجَرَةَ

فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقًا بِنُبُوتِكَ وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ، فَقَالَ
الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ
يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي»^(١).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

الغزوات

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(١)، وانتصاراً للدعوة الفتية التي بشر الله تعالى بأمتها ستكون ظاهرة على سائر الشرائع في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢)، خاض النبي ﷺ معارك مع المشركين جاوزت الثلاثين غزوة وسرية.

واشترك أكثر المسلمين في هذه الغزوات بكل بسالة وشجاعة ذباً عن دين الله ودفاعاً عن رسوله ﷺ، يقول أمير المؤمنين علياً في وصف تلك الأيام: «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ»^(٣)، وصبراً على مَضَضِ الْأَمِّ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) التوبة: ٣٣.

(٣) لقم الطريق: الجادة الواضحة منها.

أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عُدُونَا وَمَرَّةً لِعُدُونَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعُدُونَا الْكِبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَفَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ»^(١).

ولم ترد الإشارة في نهج البلاغة إلا إلى غزوة بدر وأحد وسرية مؤتة، وذلك فيما كتب عليه السلام إلى معاوية: «فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخَا»^(٢) «يَوْمَ بَدْرٍ»^(٣).

أما غزوة أحد فيذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في محادثة جميلة مع النبي ﷺ يظهر منها تشوقه وتلهفه عليه السلام للشهادة، حيث يقول: «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي: أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ، فَقَالَ لِي: إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ»^(٤). وأما بالنسبة إلى سرية مؤتة فيقول عليه السلام في كتابه إلى معاوية: «فَقُتِلَ عَبِيدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْرَةَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤَتَةَ»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٥٥.

(٢) الشدخ: كسر الشيء الأجوف.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ١٠ و ٦٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب: ٩.

السيرة النبوية

لقد كثرت الدراسات والكتب المؤلفة عن سيرة النبي الأعظم ﷺ ولم يبق جانب من جوانب حياته الطاهرة إلا وسُلط الضوء عليه بكتاب أو مقال أو دراسة، وما زالت حياته الكريمة منبعاً فياضاً للمزيد من هذه الدراسات.

وقد وردت الإشارة إلى جملة من سيرة النبي ﷺ في كتاب نهج البلاغة بصورة مختصرة، إذ إنَّ هذا الكتاب لم يؤلّف كدراسة تاريخية، بل كان الهدف من تأليفه وجمعه تسليط الضوء على بلاغة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ومع هذا فقد وردت الإشارة إلى فصول من حياة النبي ﷺ مضي بعضها وسنذكر بعضها الآخر.

ذكر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في احتجاجه على الخوارج إنَّ النبي ﷺ أقام الحدود على مستحقيها فقال: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ، وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ

قَسَمَ عَلَيْهَا مِنَ الْفِيءِ وَنَكَحَ الْمُسْلِمَاتِ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدُنُوبِهِمْ وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُجْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ» (١).

وَيَنَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِالْوَسْطِيَّةِ وَقَالَ: «فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرَّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ» (٢)، حَيْثُ يَبِينُ أَنَّ الْإِعْتِدَالَ فِي الْأُمُورِ كَانَ دَأْبَهُ وَدَيْدَنَهُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ فِي بَيَانِ مَكَافِحَتِهِ ﷺ لِلظُّلْمِ وَالضَّلَالِ: «أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الْأَصْطِفَاءِ، فَرَتَّقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونََ، حَتَّى سَرَحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينِ وَشِمَالِ» (٣).

وَيَنَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ أَيْضاً سِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ الْحَرْبِيَّةِ حَيْثُ لَمْ تَبْتِنِ عَلَى التَّغْلِبِ وَالتَّسَلُّطِ بَلْ كَانَتْ لِنَجَاةِ الْإِنْسَانِ مِنَ الضَّلَالِ: «فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنَاجِئِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنَاجِئَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رِحَاهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ فَنَائِمُهُمْ» (٤).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٣.

ومرّ أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين اشتداد الحرب كان أقرب الناس إلى العدو، وكذلك كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقدم أهله وعشيرته حين اشتداد الحرب، قال عَلِيٌّ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ، وَ أَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقَتَلَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَتَلَ حَمْرَةَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَتَلَ جَعْفَرَ يَوْمَ مُوتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنَّ آجَاهُمْ عَجَلَتْ وَمَيَّتَهُ أُجَلَّتْ» (١).

ولذا شرفهم الله تعالى وأعلى ذكرهم كما قال عَلِيٌّ في كتابه إلى معاوية: «أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحَدْتُ، أَنْ قَوْمًا اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدًا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ، أَوْ لَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ» (٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٩.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٨٠.

الصحابة

مَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الصَّحَابَةَ الْكِرَامَ تَحَمَّلُوا الْكَثِيرَ لِأَجْلِ إِعْلَاءِ
كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَصْرَةِ دِينِهِ، كَمَا كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَعَاوِيَةَ: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ
آتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ اصْطِفَاءُ اللَّهِ مُحَمَّدًا ﷺ لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدُهُ إِيَّاهُ لِمَنْ
أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا
بِبِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ
إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِيٍ مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ»^(١)، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُؤَيِّدُ مَوْقِفَ
الصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي نَصْرَةِ الدِّينِ.

وَفِي كِتَابِ آخِرِ لِمَعَاوِيَةَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ،
سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرِّبِينَ سَرَائِلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ
رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَحِبْتَهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةً، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٨.

نِصَالَهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ
بِبعيدٍ»^(١).

ويعرّض عليه السلام بمعاوية ويمدح المهاجرين الأولين ويقول: «ولمَّا
أَدخَلَ اللهُ العَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسَلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةُ طَوْعًا
وَكَرْهًا، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَيَّ حِينَ فَازَ أَهْلُ
السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ»^(٢).

ويشرح عليه السلام موقف الصحابة في التضحية والدفاع عن الإسلام
ويقول: «فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ القِتْلَ لَيَدُورُ عَلَيَّ الأَبَاءِ
وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانَ وَالقَرَابَاتِ، فَمَا نَزَدَا عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلاَّ إِيمَانًا
وَمُضِيًّا عَلَى الحَقِّ، وَتَسْلِيمًا لِالأَمْرِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الجِرَاحِ»^(٣).

وقريب منه قال عليه السلام في خطبة أخرى: «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ
نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلاَّ إِيمَانًا
وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللِّقْمِ وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ
العُدُوِّ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالآخَرُ مِن عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ
الفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ المَنُونِ، فَمَرَّةً
لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٨.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ١٧.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢١.

الْكَبْتِ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئًا
أَوْطَانَهُ»^(١).

وقال عليّ بن أبي طالب في مدح الأنصار: «هُمْ وَاللَّهِ رَبُّوا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي
الْفُلُوقُ^(٢) مَعَ غَنَائِهِمْ، بِأَيْدِيهِمُ السَّبَاطُ^(٣) وَالسِّتَاهُ^(٤) السَّلَاطُ^(٥)».

وقال عليّ بن أبي طالب أيضاً في وصف تعبد بعض الصحابة رضوان الله
عليهم: «لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ،
لَقَدْ كَانُوا يُضْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ
جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ
بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ
أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْلَّ جُيُوبُهُمْ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ
الْعَاصِفِ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ»^(٦).

وقال عليّ بن أبي طالب: «أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا
الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهَيَّجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّهُوا وَلَهُ اللَّقَاحُ إِلَى
أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ رَحْفًا

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٥٥.

(٢) الفلوق: ولد الفرس.

(٣) السباط: يقال رجل سبط اليمين أي سخي.

(٤) جمع سليط وهو الشديد وذو اللسان الطويل.

(٥) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٥٣.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٦.

زَخْفًا وَصَفًّا صَفًّا بَعْضُ هَلْكَ وَبَعْضُ نَجَا، لَا يُيَسِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ، وَلَا يُعَزِّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى، مُرَّةُ الْعَيْونِ مِنَ الْبُكَاءِ، مُخْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ، عَلَيَّ وَجُوهِهِمْ غَبْرَةٌ الْحَاشِعِينَ، أُولَئِكَ إِخْوَانِي الدَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَنْظُمًا إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الْأَيْدِي عَلَيَّ فِرَاقِهِمْ»^(١).

ويتلَهف عليه السلام إليهم في مكان آخر ويقول: «أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَيَّ الْحَقَّ، أَيْنَ عَمَّارٌ، وَأَيْنَ ابْنُ التَّيَّهَانِ، وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَيَّ الْمَنِيَّةَ، وَأُبْرِدَ بُرْءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ» ثم ضرب بيده إلى لحيته فأطال البكاء ثم قال: «أَوْهَ عَلَيَّ إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوْا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ»^(٢).

طبعاً هذا لا يعني أن جميع الصحابة كانوا على هذه الحالة لأنهم كانوا يتفاوتون في المراتب المعنوية كتفاوتهم في العلم والمعرفة والنجدة والشجاعة، فالأوصاف التي مرّت على لسان أمير المؤمنين عليه السلام لم تكن عامة لجميعهم أولاً، ولم تعطهم صفة العصمة من الخطأ والذنب ثانياً، بل تشملهم ما داموا على الطريق، وهذا كقوله تعالى في وصف

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٢.

الصحابة: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

فالمغفرة والأجر العظيم لا يعم جميعهم، بل يشمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فقط، وما داموا على هذه الحالة، إذ إن النبي ﷺ أخبر أمير المؤمنين علياً أن أمته سيفتنون بعده، قال علياً: «لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: «أَلَمْ * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي... يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيُفْتَنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيُفْتَنُونَ بِرَحْمَتِهِ وَيُفْتَنُونَ بِسَطْوَتِهِ، وَيُفْتَنُونَ بِحَرَامِهِ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْحَمْرَ بِالنَّبِيدِ، وَالسُّحْتِ بِالْهَدْيَةِ، وَالرِّبَا بِالسَّبْعِ» (٢).

ويقول علياً في مكان آخر: «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتَهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ،

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦.

وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا
السِّبَاءَ عَنِ رِصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ،
وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ
عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مَنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِبٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ
مُبَايِنٍ»^(١).

وهؤلاء هم الذين دنسوا وجه التاريخ أمثال عمرو بن العاص
الذي قال فيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ
يُؤْتِيَهُ آتِيَةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً»^(٢).

وأمثال معاوية الذي قال فيه عليّ عليه السلام: «فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ
الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ
وَالدَّمِ»^(٣)، وقال عليّ عليه السلام أيضاً: «إِنَّكَ لَدَهَابٌ فِي التَّيِّهِ، رَوَاغٌ»^(٤) عَنِ
الْقَصْدِ^(٥) وقال عليّ عليه السلام: «فَقَدْ أُجْرِيَتْ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، فَإِنَّ
نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجْتَكَ شَرًّا، وَأَفْحَمْتَكَ غَيًّا، وَأَوْرَدْتَكَ الْمَهَالِكِ،
وَأَوْعَرْتَ عَلَيْكَ الْمَسَالِكِ»^(٦).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٣.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ١٠.

(٤) الرواغ: الميال.

(٥) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٨.

(٦) نهج البلاغة، الكتاب: ٣٠.

وكذلك غيرهما ممن افتنن بالدنيا وأغترّ بها، فهؤلاء سيحاسبون
على أعمالهم، ولم يشملهم الوعد الإلهي بالمغفرة والرضوان، وعليه
لا يمكن الحكم على جميعهم بالعدالة والصلاح الصالح، فمن غير
وبدل وأحدث ولم يتب لا طريق له للنجاة وسيذاد عن الصراط كما في
حديث الحوض الوارد في الصحاح الدال على رجوع بعض الصحابة
القهقري بحيث لا تشملهم شفاعة النبي ﷺ.

الخاتمة

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (١).
انَّ مسألة ختم النبوة بنبينا ﷺ أمر ثابت بالنص وشهادة الواقع، وهذا مما لا شك فيه.

وقد ذكر العلماء أوجه متعددة لتفسير الخاتمة من قبيل: انَّ الأديان السابقة كانت تتطرق للتحريف والتبديل مما كان يستلزم مجيء نبي آخر لتصحيح ما حُرِّف، ولكن بالنسبة إلى الإسلام فالله تعالى وعد بحفظه من التغيير والتحريف بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢) فبقاء الدين من غير تحريف أحد أسباب ختم النبوة.
ومنها انَّ النبوات تتكامل، وكان آخر نبي أكملهم، إذ كما قيل:

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) الحجر: ٩.

«الخاتم من ختم المراتب بأسرها» ولم يبق في عالم الملكوت أمر لم يتم تبليغه، وكان آخر ما أمر به النبي ﷺ تبليغ ولاية أمير المؤمنين علياً حفظاً واستمراراً للنبوّة الخاتمة، ولما تم التبليغ نزلت آية إكمال الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١).

ومنها وصول الإنسان إلى البلوغ المعرفي بعقله واجتهاده، فهنا يأتي دور العلماء بعد الأئمة للقيام بوظائفهم في نشر الدعوة وهداية الأمة.

ومنها أنّ التقدير الإلهي شاء أن تكون هذه الأمة هي الأمة الوسطى والشاهدة على سائر الأمم، بمعنى أنّها - مع التمسك بالثقلين: القرآن والعترة - ستكون ميزاناً لتصحيح الأخطاء والسير نحو الكمال من دون حاجة إلى تجديد النبوات.

وعلى كل حال، فالأقوال في تفسير مسألة الخاتمية كثيرة، والعمدة هو النص الإلهي على ذلك، والباقي تفسير وتبيين وجه ذلك ربما تخطأ وربما تصيب، وفيما يلي نسرده ما ذكره أمير المؤمنين علياً في مسألة الخاتمية:

قال علياً: «إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ» (٢).

(١) المائة: ٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

وقال عليّ: «اللَّهُمَّ... اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ»^(١).

وقال عليّ: «بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ... حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّتُهُ»^(٢).

وقال عليّ: «أَرْسَلَهُ عَلَيَّ حِينَ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ... وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيِ»^(٣).

وقال عليّ: «أَمِينٌ وَحِيهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ»^(٤).

ثم بين عليّ انّ الإسلام هو الدين الخاتم وقال: «ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَاصْطَنَعَهُ عَلَيَّ عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَيَّ مَحَبَّتِهِ، أَدَّلَ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكِرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّبِهِ بِنَصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطَشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا انْهَادَ لِأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِّهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَدَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لِبَطْرِقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.

لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لَوَضَحِهِ، وَلَا عِوَجَ لانتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عَوْدِهِ،
وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ، فَهُوَ دَعَائِمٌ
أَسَاحٌ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزْرَتْ عُيُونُهَا،
وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا
فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلٌ رَوِيَ بِهَا وَرَادُهَا. جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ،
وَذُرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ
الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ
الْمَنَارِ، مُعَوِّذُ الْمَنَارِ، فَشَرَّفُوهُ وَاتَّبَعُوهُ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ
مَوَاضِعَهُ».

وقال **عائِلًا**: «فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ،
وَتَنْفَصِمَ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمَ كِبَوَتُهُ، وَيَكُنْ مَابَهُ إِلَى الْحَزَنِ الطَّوِيلِ
وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ»^(١).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦١.

المصيبة العظمى

ذهب أكثر علماء الشيعة إلى أنّ وفاة رسول الله ﷺ كانت في يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر صفر، وذهب أكثر أهل السنة إلى أنّها كانت في الثاني والعشرين من ربيع الأول.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تَمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَن دَارِ الدُّنْيَا وَرَغِبَ بِهِ عَن مَقَامِ الْبُلُوَى، فَفَبَضَّهُ إِلَيْهِ كَرِيماً»^(١).

ومّا لا إشكال فيه عندنا أنّ رسول الله ﷺ توفي في حجر علي عليه السلام وفي ذلك يقول: «وَلَقَدْ فَبَضَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَّ صَدْرِي، وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي، فَأَمَرَتْهَا عَلَى وَجْهِي»^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «فَلَقَدْ وَسَدَّتْكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وَفَاضَتْ بَيْنَ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٧.

نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ»^(١).

ويؤيد هذا ما ورد عن عائشة أمها قالت لامرأتين سألتها عن علي عليه السلام: «أي شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله صلى الله عليه وآله موضعاً فسالت نفسه في يده، فمسح بها وجهه»^(٢).

وفي الحديث الصحيح عن أم سلمة أمها قالت: «والذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله عدنا رسول الله غداة وهو يقول: جاء علي، جاء علي؟ مراراً، فقالت فاطمة: كأنك بعثته في حاجة، قالت: فجاء بعد، قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت أذناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يسارّه ويناجيه، ثم قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان علي أقرب الناس عهداً»^(٣).

وقيل لابن عباس: «أرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله توفيّ ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر عليّ، قلت: فإن عروة حدّثني عن عائشة أمها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: أتعقل هذا؟ والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه لمستند إلى صدر علي»^(٤).

(١) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٢.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٣٩٤.

(٣) المستدرک للحاکم ٣: ١٣٩ وصححه.

(٤) الطبقات لابن سعد ٢: ٢٦٣.

وعن أبي رافع قال: «توفي رسول الله ﷺ ورأسه في حجر علي ابن أبي طالب...» (١).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «قبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجر علي» (٢).

وعن الشعبي قال: «توفي رسول الله ﷺ ورأسه في حجر علي» (٣).

فهذه الروايات وغيرها الواردة عن الصحابة والتابعين تدلّ بصراحة على أنّ الرسول الأكرم ﷺ توفي ورأسه في حجر علي عليه السلام، وعليه فلا قيمة لما رواه القوم عن لسان عائشة من أنّ النبي ﷺ توفي بين سحرها ونحرها، إذ أنّه لا يقاوم سائر الأخبار الصحيحة والحسنة والموثقة التي تعارضه.

وأيضاً ممّا لا إشكال فيه ولا خلاف حوله أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي تولى غسل رسول الله ﷺ، فقد قال عليه السلام: «وَلَقَدْ وَليْتُ غُسلَهُ ﷺ وَالْملائِكَةُ أَعوانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأفْنِيَّةُ، مَلَأُ يَهْبِطُ وَمَلَأُ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْبِ حَةٍ» (٤).

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ١: ٢٩٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢: ٢٦٢.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٢٦٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٧.

فانظر إلى هذه المنقبة الشريفة، تتلو منقبة بدء الوحي حيث كان ﷺ يرى نور الوحي والرسالة، ويشم ريح النبوة، وقال له الرسول ﷺ: «أنت تسمع ما أسمع، وترى ما أرى» وسمع أيضاً رنة الشيطان، فياله من شرف عظيم.

وقد أثرت مصيبة رسول الله ﷺ على قلب أمير المؤمنين ﷺ أشد تأثير حتى أنه ترك الخضاب، فقد قيل له: لو غيرت شبيك يا أمير المؤمنين، فقال ﷺ: «الْخِضَابُ زِينَةٌ، وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ» قال الشريف الرضي موضحاً: يريد برسول الله ﷺ (١).

وقال ﷺ عند تغسيل رسول الله ﷺ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبَوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى صُرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءَ، وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَأَنْفَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْنِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مِمَّا طَلَا، وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا، وَقَلَّا لَكَ، وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمَكِّنُ رَدَّهُ وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ» (٢).

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٦١.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٤.

ما حدث بعد رحيله ﷺ

حدثت بعد رسول الله ﷺ حوادث مؤلمة غيرت مسير الأمة عن المخطط الإلهي الذي بلغه رسول الله ﷺ، وقد وردت الإشارة في نهج البلاغة إلى بعضها، وهي كما يلي:

١- غصب الإمامة، فقد قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: «فَلَمَّا مَضَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي، وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعَجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنْخَوُّهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ»^(١).

وقال عليّ بن أبي طالب في الخطبة الشقشقية: «أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفَقْتُ أَرْتَثِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَدَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ،

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٦٢.

يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْبَبِي، فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى وَفِي الْحَلْقِ شَجَا»^(١).

وقال عليّ عليه السلام أيضاً: «فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْتِراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا»^(٢).

٢- بثّ الدعايات ضد أمير المؤمنين عليه السلام لتشويه سمعته، قال عليه السلام لما خاطبه العباس وأبو سفيان في أن يبايعاه بالخلافة لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيَجَانَ الْمُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحِ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ، هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَعْصُ بِهَا أَكْلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتِ إِبْنَاعِهَا كَالزَّرَاعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ. فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَاللَّهِ لَا بِنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأُرْشِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ»^(٣).

فجعلوه عليه السلام في موقف حرج بحيث لا يتمكن من السكوت

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٥.

ولا يتمكن من الكلام.

٣- افتتان الأمة، قال عليّ: «حتى إذا قبض الله رسوله ﷺ رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكفوا على الولايح، ووصلوا غير الرحيم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل صارب في عمرة، قد ماؤوا في الحيرة، وذهلوا في السكر، على سنة من آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مبين»^(١).

وقال عليّ: «لما أنزل الله سبحانه قوله: «لم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟ فقال: يا علي إن أممي سيفتون بعدي... يا علي إن القوم سيفتون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالبيذ، والشحت بالهدية، والربا بالبيع، قلت: يا رسول الله ﷺ فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك، أم منزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة»^(٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦.

٤- غضب فدك بدواعي سياسية لبست ثوب الدين - كما أشرنا إليه في سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة - وفي ذلك يقول عليه السلام: «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله» (١).

٥- استشهاد الزهراء عليها السلام، انّ الحديث عن الزهراء عليها السلام ومظلوميتها وما جرى عليها بعد أبيها صلّى الله عليه وآله ذو شجون، وحقيق بالإنسان الحرّ الذي أطلق عقله عن أسر التعصبات المذهبية، أن يأسف على أمة سرعان ما نست وصايا رسولها بحق ابنته وأهل بيته، بحيث تموت أم أبيها وحببية قلب المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام وهي في مقاطعة سياسية للسلطة الحاكمة آنذاك.

فقد ثبت في الصحيح انّ فاطمة عليها السلام وجدت على أبي بكر فهجرته ولم تكلمه حتى توفيت (٢) كما سنين سببه لاحقاً.

فهل من المعقول انّ أشرف قبيلة في قريش وهم بنو هاشم، وأشرف بيت في بني هاشم وهم عترة الرسول صلّى الله عليه وآله يقاطعون السلطة الفتية آنذاك، والتي يجب دعمها وتشيد مبانيها في تلك الظروف الحرجة، لا لشيء سوى الدنيا والصراع على المناصب، وهم هم في زهدهم وبعدهم عن الدنيا وزخارفها وبذهم لها - كما هو ثابت عند

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٤٥.

(٢) صحيح البخاري ٥: ٨٢، وصحيح مسلم ٥: ١٥٤.

الفريقين - ففاطمة تغضب على السلطة وتقاطعها، وعليّ يغضب على السلطة ولم يبايع وكذلك باقي البيوت الهاشمية، أليس هذا ينبى عن شيء أخطر وأعمق ممّا يتصوره السّدج من الناس. فانتظر فسيوافيك بيانه في مسألة الإمامة والنص.

ونحن يكفيننا في إدانة القوم، واثبات مظلومية الزهراء عليها السلام، ما ذكرناه آنفاً من الثابت الصحيح عند أهل السنة من غضب الزهراء عليها السلام على القائمين بالأمر آنذاك، ونضيفك بياناً ما ورد من إقدام عمر بن الخطاب على تهديد بيت الوحي بالإحراق والهجوم عليه، وذلك ما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة عن عمر بن الخطاب لما جاء بالخطب إلى دار فاطمة فقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن^(١).

وما رواه المنقري من كلام عمرو بن العاص لمعاوية لما منع الماء عن جيش علي عليه السلام فنهاه عمرو وقال له: «وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول له: «لو استمكنتُ من أربعين رجلاً» فذكر أمراً. يعني لو أنّ معي أربعين رجلاً يوم فتش البيت، يعني بيت فاطمة^(٢).

ونقل الصفدي عن النظام - شيخ الجاحظ ومن كبار المعتزلة -

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٩.

(٢) وقعة صفين: ١٦٣.

أنّه كان يقول: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة حتى ألقّت المحسن من بطنها^(١).

وأكد هذا ندم أبي بكر عند وفاته على بعض ما صنعه، منها قوله: «وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد أغلقوه على حرب»^(٢).

فهذه النصوص وغيرها تدلّ على الإقدام لإحراق البيت بجمع الحطب، وتدلّ على تفتيش البيت والكشف عنه، وتدلّ على إسقاط المحسن، ظلّامة ما فوقها ظلّامة.

وإشارة إلى هذه الظلمات قال أمير المؤمنين عليه السلام عند دفن فاطمة الزهراء عليها السلام مخاطباً الرسول صلّى الله عليه وآله: «السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، ... إنّ الله وإنّا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، أمّا حُرّني فسرمد، وأمّا لي لي فمسهد، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مُقيم، وسُئبتك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها، فأخفها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر»^(٣).

(١) الوافي بالوفيات ٦ : ١٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٤٣١ ، العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ : ٢٦٧ .

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٠٢ .

مستقبل الدعوة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاءَهُ... فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَاتِهِمْ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بَعِيرَ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ»^(١).

يشير عليه السلام في هذا النص إلى سنة الله تعالى في الأنبياء من حيث الاستخلاف حفاظاً على الدعوة الإلهية، سيما بالنسبة إلى خاتم النبيين حيث سيكون دينه آخر الأديان، وستكون أمته شاهدة على سائر الأمم، مما يؤكد ضرورة مسألة الاستخلاف.

نعتقد أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدى ذلك تماماً، وعرفّ الناس من سيخلفه، سيما بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

(٢) المائدة: ٦٧.

فقام ﷺ بتبليغ الأمر في غدير خم عند منصرفه من حجة الوداع، ونزل قوله تعالى بعد هذا التبليغ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١).

إنّ الضمان الذي تركه رسول الله ﷺ لمستقبل الدعوة، إنّما هو الثقلان: الكتاب، والعترة الطاهرة، كما هو مفاد حديث الثقلين الثابت والمتواتر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى القرآن: «وَحَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَاتِهِمْ... كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنًّا حَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسَّرًا مُجْمَلًا، وَمُبَيَّنًّا غَوَامِضَهُ» (٢).

وقال عليه السلام بالنسبة إلى العترة: «فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ، وَيَبِينُكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وَهُمْ أَرْزَمَةُ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَالسِّنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ السَّيْمِ الْعِطَاشِ» (٣).

وقال عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبّدوا

(١) المائدة: ٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة، ١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٦.

فَالْبُدُوءَ، وَإِنْ مَهَضُوا فَانْمَهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا
عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا»^(١).

وقال عليّ بن أبي طالب: « نَحْنُ النَّمْرُقَةُ الْوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي وَإِلَيْهَا
يَرْجِعُ الْعَالِي»^(٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٦.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٠٤.

إلى هنا نُنهي الكلام عن سيرة النبي الأعظم ﷺ طبقاً لما ورد في نهج البلاغة، ونصلي ونسلم عليه ونقول كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ، واجْزِهِ مُضَعَفَاتِ الْحَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزْلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، واحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ حَزَابَا، وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ، وَلَا ضَالِّينَ، وَلَا مُضِلِّينَ وَلَا مُفْتُونِينَ»^(١).

وكما قال عليه السلام أيضاً:

«اللَّهُمَّ دَاجِي الْمَدْحُوتِ وَدَاعِمِ الْمَسْمُوكَاتِ وَجَابِلِ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيَّهَا وَسَعِيدِهَا. اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ وَالْمُعَلِّنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالِدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَالِدَّامِعِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِيلٍ عَنْ قُدَمٍ وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِيًا لَوْحِيكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَا ضِيًّا عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْحَابِطِ وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنِيَّاتِ الْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْرُوجُ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ».

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٥.

ونقول عقيب كل صلاة ما علّمه الإمام الرضا عليه السلام لأبي بصير
البنزطي: «السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمة الله وبركاته، السلام
عليك يا محمد بن عبدالله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا حبيب
الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك أمين الله، أشهد أنك رسول
الله، واشهد أنك محمد بن عبدالله، وأشهد أنك قد نصحت لأمتك،
وجاهدك في سبيل ربك، وعبدته حتى أتاك اليقين، فجزاك الله يا رسول الله
أفضل ما جزى نبياً عن أمته، اللهم صل على محمد وآل محمد أفضل ما
صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(١).



(١) قرب الإسناد للحميري: ٣٨٢، البحار ٨٦: ٢٤.

المحتويات

| | |
|----|-------------------------------|
| ٥ | تمهيد: في النبوة |
| ٦ | سبب الحاجة إلى الأنبياء |
| ٨ | صعوبة الامتحان |
| ١١ | ١ - المولد النبوي |
| ١٤ | ٢ - البعثة النبوية |
| ٢٥ | ٣ - الهجرة النبوية |
| ٢٨ | ٤ - السنة النبوية |
| ٣٧ | ٥ - الأوصاف النبوية |
| ٤٤ | ٦ - المعاجز النبوية |
| ٤٨ | ٧ - الغزوات |
| ٥٠ | ٨ - السيرة النبوية |

| | |
|----|-------------------------------|
| ٥٣ | ٩ - الصحابة |
| ٦٠ | ١٠ - الخاتمة |
| ٦٤ | ١١ - المصيبة العظمى |
| ٦٨ | ١٢ - ما حدث بعد رحيله ﷺ |
| ٧٤ | ١٣ - مستقبل الدعوة |
| ٧٩ | المحتويات |
